

#1

مقدمة ابن خلدون

وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...

تأليف
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

بتحقيق
المستشرق الفرنسي
أ. م. كاترمير

عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨

المجلد الأول

MIDDLEBURY COLLEGE LIBRARY

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح

بيروت

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَیْدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِیْمًا

الكتاب الاول في طبيعته العمران في الخليفة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس
والعصبية واصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتج منه
البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيه (فهيها) التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمهيص (1)
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأى
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(1) Man. B. التمهيص.

الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فنستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان (3) او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

(2) Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخص له. Man. B. تخص.

احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الاحداث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تهخيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التحصيل من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وبنقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودى عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعايستها وتم له بناؤه في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك تلافه لا ينتظرون (1) به رجوعه من غرره ذلك طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح المحيل (2) لها

(1) Man. C. ينتظرون.

(2) Man. A. المحيد.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الربة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك اهل الحمامات اذا طبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين في الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتداخلها فان الهتدي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل ريته اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحر على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين | وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودي ايضا في تمثال الزرور الذي برومة تجتمع اليه الزرايز في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعث ذلك عن المجرا الطبيعي في اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والهدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم (كما) نقله المسعودي ايضا في حديث